Dirasat: Human and Social Sciences, Volume 51, No. 6, Supplement 1, 2024

Deanship of Scientific Research

The Impact of One Thousand And One Nights on Western Romance Stories. The Story of Tristan and Isolt Is an Example

Huda Qazza*

Department of Arabic Language and Literature, College of Arts, Hashemite University, Zarqa, Jordan

Received: 8/9/2021
Revised: 3/11/2021
Accepted: 14/12/2021
Published: 15/12/2024

* *Corresponding author:*
hudam@hu.edu.jo

Citation: Qazza, H. . (2024). The Impact of One Thousand And One Nights on Western Romance Stories. The Story of Tristan and Isolt Is an Example . *Dirasat: Human and Social Sciences*, *51*(6), 206–217. https://doi.org/10.35516/hum.v51i6.9515

© 2024 DSR Publishers/ The University of Jordan.

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

Abstract

Objectives: This research is concerned with demonstrating the impact of the ancient Arabic narrative structure on Western love stories. To demonstrate the areas of convergence and divergence in the fundamental and eternal idea of love, as writers expressed it in their arts in varying ways, and they met in expressing it in some axes, which leads to exploring Western civilization's dialogue with the stories of One Thousand and One Nights in Western love stories.

Methods: The research considered that the optimal threshold for comparison is to determine the impact of Arabic literature on Western literature, and to explain the term "romance." Then, taking the stories of One Thousand and One Nights as a reference text, we show, through comparison between it and one of the love stories known to Westerners - which is the story of Tristan and Aizult - the points of similarity and difference between them, adopting the approach of intertextuality to clarify the features of the cultural impact of the stories of One Thousand and One Nights. In Western stories.

Results: The West's contact with the East had an impact on the new concept of love in European literature. The book One Thousand and One Nights is considered one of the most influential books in Western romances, including the story of Tristan and Iseult. The research showed the possible Arabic origins of this story through textual comparison, as well as between the most prominent features. The cultural impact of One Thousand and One Nights.

Conclusion: The book One Thousand and One Nights had an impact on changing some Western literary concepts, including the concept of romance, and this influence was clear in Western romances.

Recommendations: The research recommends paying attention to comparative studies and rooting literary concepts and their roots to demonstrate the points of convergence between cultures and the role of Arabs in civilizational interaction.

Keywords: One Thousand and One Nights, Tristan and Iseult, ancient Arabic literature.

أثر ألف ليلة وليلة في قصص الرومانس الغربي قصة تريستان و إيزولت نموذجا

هدى قزع*

قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، الجامعة الهاشمية، الزرقاء، الأردن

ملخّص

الأهداف: يُعنى هذا البحث ببيان أثر البناء الحكائي العربي القديم في قصص الحب الغربي؛ لبيان مواطن الالتقاء والافتراق في فكرة جوهرية وخالدة هي الحب؛ إذ عبر الأدباء عنها في فنونهم بأساليب متفاوتة، والتقوا في التعبير عنها في بعض المحاور، الأمر الذي يدفع إلى استشفاف محاورة الحضارة الغربية لحكايا ألف ليلة وليلة في قصص الحب الغربي.

المنهجية: ورأى البحث أن العتبة المثلى للمقارنة هي تحديد أثر الأدب العربي في الأدب الغربي، وبيان مصطلح الرومانس (Romance)، ثم اتّخاذ حكايا ألف ليلة ليلة نصًّا مرجعيًّا نُظهر من خلال المقارنة بينه وبين إحدى قصص الحب المعروفة لدى الغربيين، وهي قصة تريستان (Tristan) وإيزولت (Aizult)، محاور التشابه والاختلاف بينهما، معتمدين منهج التناص (Intertextuality) لتوضيح معالم التأثير الحضاري لحكايا ألف ليلة وليلة في القصص الغربية.

النتائج: لقد كان لاتصال الغرب بالشرق أثر في المفهوم الجديد للحب في الأدب الأوروبي، ويعد كتاب ألف ليلة وليلة من أبرز الكتب المؤثرة في الرومانسيات الغربية ومنها قصة ترستان وإيزولت، وقد أظهر البحث الأصول العربية المحتملة لهذه القصة من خلال المقارنة النصية، وكذلك بين أبرز معالم الأثر الحضاري لألف ليلة وليلة فيها.

الخلاصة: لقد كان لكتاب ألف ليلة وليلة أثر في تغيير بعض المفاهيم الأدبية عند الغربيين ومن بينها مفهوم الرومانس، وقد كان هذا التأثير واضحا في الرومانسيات الغربية.

التوصيات: يوصي البحث بالعناية بالدراسات المقارنة والتأصيل للمفاهيم الأدبية وجذورها لبيان مواطن الالتقاء بين الثقافات ودور العرب في التفاعل الحضاري.

الكلمات الدالة: ألف ليلة وليلة، تريستان وإيزولت، الأدب العربي القديم.

أولًا: مدخل تمهيدي

1- أثر الأدب العربي في الأدب الغربي:

لا يمكن لأي موضوع أن يكتمل من دون مقارنته بما يماثله، فالتبادل الفكري وتقبل التيارات الأدبية يسهمان في تطور الأدب، واتساع آفاقه، والناقد" إذا أراد أن يحلل يجب أن يكون على صلة بمصادره، وإذا أراد المقارنة فعليه معرفة الآثار الماضية وآثار الكتاب المحدثين، كما عليه أن يلم بآثار الأمم الأخرى، وأن يعرف حضارة أمته وحضارة الأمم الأخرى، ولا يصح الاعتماد على الذكاء وحده " (سلوم، 1968، ص118).

ففي العصور الوسطى ظهرت في أوروبا قصص ذات طابع شعبي، كما ظهر لون آخر هو قصص الفروسية والحب ويبدو أنها تأثرت بالأدب العربي، فالمرأة في المجتمعات الأوروبية - بالعصور الوسطى - قد ظلت مهملة حتى القرن الحادي عشر حين بدأ خلق الفروسية بالظهور والمزاوجة بين أخطار الحب و الحرب؛ لذلك يبدو أن الكثير من القصص الأوروبية نبعت من جذور عربية بوساطة المترجمين الأوروبيين الذين نقلوا بعض القصص العربية للفرنسية والألمانية والإيطالية، فبان أثرها كقصص ألف ليلة وليلة.

ولتلمس أثر ألف ليلة وليلة في قصة تريستان لا بد من الإشارة لصلة الثقافة العربية بالثقافة الأوروبية، إذ شاع التخلف وانتشر الجهل في أوروبا بالعصور المتأخرة، في الوقت الذي كانت بغداد وأسواقها تتباهى بمظاهر الحضارة (الفلاحي، 2012، ص7)، فليس غريبًا أن تلجأ أوروبا -حين تنشد الرقي والسمو واليقظة- إلى مصادر النور في العالم آنذاك والمتمثلة في حواضر الإسلام لتنهل من معينها الثر وتستقي من ينابيعها الفكرية والروحية التي مزجت بين الأصالة والجدة بفعل تزاوج الحضارات الذي أثمر عن حركة الترجمة الواسعة.

وربما يؤكد تلك الصلة سفر بطل القصة تريستان إلى الأندلس لتعلم الفلك في إشارة للصلة التاريخية والثقافية بين الأندلس آنذاك وأوروبا فقد جاء في مضمون القصة: "أنه بعد أن جرح تريستان توسل الملك أن يضعه في قارب بدون مجاذيف كي يموت في البحر، لكنه لم يصل إلى مرفأ ويزفورت عند إيزولت الشقراء المتخصصة بمعرفة الشراب السحري الذي يحيي من الموت، وهي تريد هلاك تريستان، ليفيق بفضل حذاقتها، ويلفق هنا قصة ينقذ فيها نفسه من هلاكها ويدعي أنه من جوابة الشعراء ويستقل مركبا تجاريا للرحلة إلى إسبانيا (الأندلس) سعيا منه للقراءة في النجوم لكن قراصنة البحر انقضّوا على السفينة فجرحوه" (بيديه، 1960، ص20_21).

ويقول محمد غنيمي هلال: "وقصة تريستان ترجع في أصلها إلى خرافة، ولم يشك أحد في قيمتها الأدبية، بعد أن كان لها ما كان من رواج في الآداب الأوروبية في مختلف العصور" (هلال، 1960، ص3).

ويصفها ميكل بأنها: "إحدى أجمل أساطير الغرب في العصر الوسيط" (ميكل، 2000، ص25). كما يؤكد (هلال، 1997، ص470-471) أن هذا المفهوم الجديد للحب والعشق في الأدب الأوروبي نشأ على أثر اتصال الغرب بالشرق في الحروب الصليبية، فمع عصر النهضة بدأ الاهتمام بالشرق العربي ليس فقط من الناحية الدينية واللغوية بل شمل كافة مجالات الفكر من فلسفة وآداب، ولقد كان لكتاب ألف ليلة وليلة أثر كبير في الأدب الأوربي (مكي، 1987، ص537) وبالتحديد في فن السرد.

2- مصطلح الرومانس:

يعد مصطلح الرومانس من الاصطلاحات الأدبية واللغوية الغامضة؛ إذ إنه ينطبق على كثير من الأشكال والأنواع الأدبية التي تطورت منذ القرون الوسطى، وسأورد بعض تعريفاته:

الرومانس (القصة الخيالية): "هي رواية أو قصة شعرية أو نثرية ظهرت في القرون الوسطى، موضوعها المغامرات الفروسية والهوى العذري، وروحها عاطفية وخيالية. وقد اعتاد الدارسون تقسيم هذه القصة الخيالية أقسامًا ثلاثة: شعرية، ونثرية، وآرثرية، وميزوا القسم الأخير عن القسمين الآخرين بتسمية خاصة لكثرة ما عرف من القصص حول الملك آرثر، كما ميزوا بين القصة الخيالية والرواية النثرية عادين الثانية منها قصة خيالية خاضعة لقواعد المسرحية من: حبكة، ورسم شخصيات، وتناسب أجزاء، وتسلسل من السرد من البداية إلى النهاية، في حين أن الأولى تتميز باهتمامها بقص الأحداث والمآثر أكثر من اهتمامها بتصوير الشخصيات وتحليلها" (وهبة، 1974، ص485-486).

ويشير مجدي وهبة إلى أن الكلمة نفسها تطلق على مجموعة اللغات التي انحدرت من اللغة اللاتينية في أوروبا، وهي تطلق أيضًا على: "نوع من القصائد الغنائية القصصية التي شاعت في إسبانيا بعد الحروب التي نشبت بين الإسبان وملوك الطوائف في الأندلس، وأغلب هذه القصائد يدور حول مآثر الفرسان الإسبان ومغامراتهم الغرامية مع أميرات الأندلس" (وهبة، 1974، ص486). وقد زاد من اختلاط هذا المصطلح، ما جاء من مصطلحات الرومانسية، ومصطلح الرواية الفرنسية التي أصبحت تدعى (Roman) (ديورانت، 1958، ص465).

ويقول رانيلا وهو يبين أصول الآداب الشعبية الغربية: "يمكننا أن نصف تأثير الليالي على الحركة الرومانسية بأنه كان هائلًا" (رانيلا، 1999، ص302).

ويذهب المستشرقون أن ألف ليلة وليلة لاتقدم صورة واقعية للحضارة العربية، وإنما صورة واقعية للحياة العاطفية للعرب الذين أبدعوا

الحكايات ولونوها بخيالهم، وهذه الحياة العاطفية هي السمة المميزة لأي ثقافة إنسانية (جواد، 2002، ص4).

كما كان لقصص ألف ليلة وليلة تأثير عظيم في الآداب الأوروبية منذ عرفتها في أواخر القرن الثامن عشر، فقد حملت كثيرًا من قضايا الرومانتيكية، مثل :

الهرب من الواقع إلى الخيال، والسخرية، وترجيح العاطفة على العقل في الاهتداء للحقائق الكبرى (المعطاني، 2016، ص71).

وقد أثرت ألف ليلة وليلة بأعمال أدبية أوروبية كبرى، ومن أهم مزاياها تعبيرها عن المشاعر الإنسانية العميقة وإشادتها بالمعاني السامية (جبر، 1985، ص28).

وإذا كان الرومانسيون الأوائل يحصلون من نسخة غالان على صورة مخادعة لشرق بديع قصي -وإن كان شرقا هشًّا- يلتجئون إليه خياليا ويستطيعون صياغته وإعادة تركيبه ذاتيا بحيث يتناسب مع أهوائهم وخيالاتهم، فإن أواخر الرومانسيين لم يكونوا كذلك (الموسوي، 2007، ص329).

3_ الأصول العربية المحتملة لقصة تريستان و إيزولت:

ينطلق هذا البحث من رؤية المستشرق S.Singer التي نقلها عبد الرحمن بدوي في أن أصل حكاية إيزولت ذات اليد البيضاء موجود في كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (بدوي، 1979، ص93)، إضافة إلى رأي داود سلوم الذي يجد فيه أن الحكاية العربية المشابهة لقصة تريستان هي حكاية (المتجردة) زوجة النعمان، والمنخّل اليشكري (سلوم، 2008، ص13).

وقصة تريستان أسطورية بطولية من القرن الحادي عشر أو الثاني عشر، تندرج ضمن مجموعة المنضدة المستديرة، وقد خلدتها أوبرا الموسيقي الألماني فاجنر (Wagner) بهذا الاسم (فاجنر، 1991، ص17_24).

ولها روايات عديدة، وقد افتتن فيها شعراء العصور الوسطى في مختلف البلاد واللغات الأوربية، ونصها الأصلي مفقود، وإنما بقيت ترجمات وصلتنا منها أربع كاملة، هي: الرواية الفرنسية أو النورماندية بالنثر، وتنسب عادة إلى لوي سيد جاست ((Loay بالقرب من سالسبوري، والثانية هي الرواية الألمانية، وهي الأخرى بالنثر، ويظهر أنها قامت على الرواية الفرنسية، والثالثة بالشعر، وتنسب إلى جود فروا من استراسبورج، أحد مشاهير شعراء الغرام (Minnesanger) في القرن الثاني عشر، والرابعة بالشعر أيضًا من نظم توماس من أرسلدون، وباللغة الاسكتلندية، وتتألف من مقطوعات كل منها تتألف من أحد عشر بيتًا، وإلى جانب هذه الروايات الكاملة توجد شذرات عديدة من روايات أخرى، بعضها بالشعر والآخر بالنثر، ونظم كرتيان دي تروا (Christian de Troyes)، رواية كاملة ضاعت كلها (بدوي، 1979، ص9)، ووجدت رواية بروفنسالية كثيرًا ما يشير إليها شعراء التروبادور (Troubadours) في القرنين الثاني عشر والثالث عشر.

ويرى بعض الدارسين أن لهذه القصة أصلًا تاريخيًا، وأن تريستان قائد شهير عاش في منتصف القرن السادس الميلادي، وكان أحد الأمراء الثلاثة المتوجين هو وجوايروكاي (Joarukai). و يرون أنه كان شاعرًا جوالًا من بلاد الغال في غربي إنجلترا ومن تلاميذ مردين (Mardin)، وكان أيضًا في بلاط الملك آرثر (Arthur) وعاش في سنة 520م، وقد اتجهوا إلى الكشف عن إمكان وجود مصدر شرقي لهذه القصة، فدرس إيتيه (Ethe) العلاقات بينها وبين الملاحم الإيرانية، ومن بعده إيتالو (Italo) بتسى بمقال عنوانه: "الأصل الفارسي لقصة ترستان وإيزولده" وفيه أكد وجود أصل إيراني لها، وقام ر. أتسنكر ببيان التشابه بين هذه القصة، وقصة ويس ورامين (Lewis and) الإيرانية. وأيدهم ى. أسترزيجوفسكي (Ostrsego Levski) في مقال قال فيه: "إن الاتفاق بين الاثنين يستبعد الصدفة ولا يمكن تفسيره إلا بافتراض أخذ الرواية الأولية لتريستان من القصة الإيرانية في القرن الحادي عشر أو أصلها الأقدم منها" (بدوي، 1979، ص91-93، ميكل، 2000، ص7. روجمون، 1972، ص11).

ثالثًا: فكرة الحب بين حكايا ألف ليلة وليلة وقصة تريستان و إيزولت

نهدف في هذا البحث إلى أن نحدد معالم الأثر العربي في تكوين الفكر الأوربي من خلال عملية الإخصاب بين الفكر العربي وكمال تطوره، والفكر الأوروبي لحظة يقظته، وذلك برسم بعض الخطوط الجمالية لدور الفكر العربي في تكوين الفكر الأوروبي، متخذين من حكايا ألف ليلة وليلة نصًا مرجعيًا للمقارنة، ومعتمدين منهج التناص -وهو "أن يتضمن نص أدبي ما نصوصًا، أو أفكارًا، أو معارف أخرى سابقة عليه، بحيث تندمج النصوص السابقة مع النص الأصلي مشكلة نصًا جديدًا موحدًا ومتكاملًا" (الزعبي، 1995، ص9)- منهجًا أساسيًا للمقارنة على اختلاف صوره من "تناص مباشر: ويسمى بمسميات معينة، منها: التناص الواعي، أو التناص الشعوري، أو تناص التجلي، وهو عملية واعية تقوم بامتصاص وتحويل نصوص متداخلة، ويحوي توظيف النص المرجعي ذاته دون موارية أو تمويه أو تحريف، أو استخدام معاكس له، أو تناص غير مباشر: ويسمى أيضًا بتناص الخفاء، أو تناص اللاوعي، أو التناص اللاشعوري، وهو التناص الذي لا يكشف عن النص الغائب مباشرة، بل يومئ له أو يرمز له، وهذا النوع يستنتج استنتاجًا، أو يستنبط استنباطًا، أو يستوحى استيحاءً" (الدهون، 2011، ص92).

وقد يكون من المفيد قبل أن نبدأ بالمقارنة أن نقدم ملخصًا لقصة تريستان وإيزولت؛ إذ هي تروي خبر تريستان الذي فقد أباه منذ طفولته،

فكفله عمه مارك (Mark)، ملك كُرنُوَاي (Krnoaa) واعترافًا بفضل عمه، قتل مرهلت الإيرلندي، وهو نوع من الوحش، كان يأتي كل عام يطلب من إقليم كُرنُوَاي جزية مقدارها أربعمائة شاب.

ولكن رمح مرهلت (Mrhlat) المسموم أصابه، فمضى إلى ملكة إيرلندة (Ireland)، أخت الوحش، وهي القادرة على علاجه، ولم تتعرف هويته فعالجته، وعاد بعد ذلك إلى إيرلنده مرة أخرى مكلفًا بطلب يد إيزولت من أمها ملكة إيرلنده ليتزوجها الملك مارك، وعاد فعلا ومعه إيزولت، لكن في أثناء الرحلة شرب معها من شراب كان معدا ليشربه زوجها ليلة الزفاف، ومن خواص هذا الشراب أنه يشعل نار الغرام في قلب من يشربه.

ومنذ ذلك الحين ارتبط تريستان وإيزولت برابطة غرام قوية، وجرت لهما مغامرات عديدة وأحيانًا كان يفتضح أمرهما، أو يفران. ولما علم الزوج المخدوع بذلك نفاهما، فلجآ إلى غابة موروا (Mauroy)؛ حيث عاشا معًا وقتًا طويلًا في سعادة وهناء، وكان تريستان يحسن الصيد والقنص، فكانا يعيشان من حصيلة الصيد. وأخيرًا صفح الملك مارك عنهما ودعاهما إليه، ولكنهما فجعا في غرامهما من جديد، وقرر تريستان أن يغادر كُرنُوَاي إنقاذا لإيزولت. وتزوج إيزولت أخرى، هي إيزولت ذات اليد البيضاء.

وذات يوم جرح بسلاح مسموم، وهو يعلم أنه لن يشفيه غير إيزولت الأولى: إيزولت كُرنُوَاي، فبعث إليها برسول يطلب منها أن تترك زوجها وتأتي لإنقاذ حياته: فإن جاءت بها السفينة، رفعت شراعا أبيض، وإلا رفعت شراعا أسود. وفي اليوم الأخير من المدة المحددة عادت السفينة رافعة شراعا أبيض.

لقد تركت إيزولت كل شيء من أجل حبيبها، لكن زوجة تريستان قالت له: أن الشراع أسود، فتوجه تريستان نحو السور، ومات، ووصلت إيزولت، ودخلت عليه، وارتمت على جثمانه وماتت هي الأخرى.

ولما عرف الملك مارك الأصل والسبب في غرامهما وخطيئتهما ومصائبهما، وهو أنهما شربا معًا من شراب الغرام وهما لا يدريان، صفح عنهما ومجد ذكراهما.

وكان تريستان محاربا جسورًا، وصيادا ماهرا، وبحارا ممتازًا، ولاعبا بالشطرنج لا نظير له، وعازفا بارعا، ومن هنا كان النموذج الأعلى للإنسان كما تصوره خيال الكلتيين (Celtes).

1- الشكوك التي انبنت عليها الحكايتان:

يبدو حضور المرأة في حكايات ألف ليلة وليلة طاغيا عبرَ ثلاثيات الفعل، والتشخيص، والسرد (الموسوي، 2007، ص132)، ونجد أن القصة الإطار تستند في دعواها على ثلاث حكايات تؤكد الشعور السلبي تجاه طبيعة الأنثى، منها حكاية شهريار مع زوجته، وحكاية أخيه الملك شاه زمان مع زوجته أيضًا، وكلتا الزوجتين خانت زوجها (مجهول، 2009، ج1، ص7-8)، ويظهر الرجل حتى وإن كان ملكًا (يمتلك سلطة) إزاء كيد المرأة عاجزًا، على نحو ما تجلى في حكاية العروس التي اختطفها المارد ليلة عرسها (مجهول، 2009، ج1، ص9) ولسان حال شهريار يقول: إذا كان هذا حال النساء مع الملوك، فكيف حالهن مع الرعية؟ ومن هنا تستشري رغبته في الانتقام الدموي من زوجته الخائنة (مجهول، 2009، ج1، ص9). وعلى الرغم من سلطة النساء في ألف ليلة وليلة، وبطشهن واستبدادهن، فإن الرواة -بعد أن يبرزوا ملامح استبدادهن، ويبثوا أيديولوجيتهم المعادية لهن- يحطون من مكانتهن (عبد الرحمن يونس، 2007).

وفي قصة تريستان وإيزولت، نجد إيزولت الشقراء (الملكة) تخون زوجها الملك مارك (بيديه، 1960، ص44)، ولكن آلية الخيانة مختلفة هنا؛ مما يظهر أن التناص كان غير مباشر، فإيزولت لم تتعمد الخيانة ومثلها تريستان، وإنما دفعهما إليهما كأس الحب (بيديه، 1960، ص40-45) الذي شرباه معًا، مع الاحتراس أن شراب الحب لا يمثل شيئًا ويبقى خاليًا من المعنى إذا لم يشرب، فالشراب يكشف الحب ولا يخلقه.و إيزولت خانت زوجها مع ملك ابن ملك لا مع عبد أسود كما في الليالي(المنصف بن حسن، 1994، ص61-62).

ونجد أن الملك مارك كان عاجزًا عن دفع خيانة زوجته له، مع أنه طوقها في قصره بحراسة شديدة، ولكن حب إيزولت وكذلك تريستان كان أقوى من الحواجز (بيديه، 1960، ص128) وبالمثل انسلال إيزولت من بين ذراعي الملك مارك، واجتيازها الغرفة المجاورة حيث يتناوب على الحراسة عشرة من الفرسان (بيديه، 1960، ص129).

ولا نغفل الإشارة إلى رغبة الملك مارك في الانتقام الدموي حين سمع خبر تلاقيهما معًا في الغابة، ولكن هذه الرغبة لم تتحقق في الواقع (بيديه، 1960، ص96-98) على خلاف تحققها في الليالي إذ قتل الملك شهريار زوجته، ولم يكتف بذلك بل حاول الانتقام من جنس النساء عامة إذ يتزوج كل ليلة عذراء ثم يمضي بها لوزيره ليقتلها بعد أن يقضي مراده منها، بقي على هذا الحال ثلاث سنوات (مجهول، 2009، 1: ص9).

2- الحب فيض لمشاعر تلقائية:

لطالما يخيم الإحساس بالذنب على قلب المحبين، ولا نجد بموازاة هذا الإحساس حيادًا حقيقيًا عن تباريح الهوى، فكل محب يتعطش لوصال الحبيبة ولقائها؛ إذ ثمة قوة جاذبة سحرية تشد المحبين لقطبهم الآخر.

والشعور بالذنب يتخذ أكثر من مظهر، فهناك من يحمّل الذنب الطرف الآخر، ويخلي نفسه من المسؤولية كما نجد في حكاية وردخان بن الملك

جليعاد، يقول الوزير للملك الذي حمل الأنثى الذنب: "اعلم أيها الملك أن الذنب ليس للنساء وحدهن؛ لأنهن مثل بضاعة مستحسنةٍ تميل إليها شهوات الناظرين فمن اشتهى واشترى باعوه، ومن لم يشتر لم يجبره أحدٌ على الشراء، ولكن الذنب لمن اشترى وخصوصًا إذا كان عارفًا بمضرة تلك البضاعة،وقد حذرتك ووالدي من قبلي كان يحذرك ولم تقبل منه نصيحةً فأجابه الملك: أنني أوجبت على نفسي الذنب كما قلت أيها الوزير، ولا عذر لي إلا التقادير الإلهية (مجهول، 2009، 4: ص217)، فالذنب ليس مختصًا بالنساء وحدهن، بل يقع على الرجال، وهما سواء في الذنب، وقد وقع جليعاد بالذنب وتعايش معه على الرغم من تكرار النصيحة على مسامعه، فالحب قدر عليه وهو لم يختاره.

ونجد في المقابل في قصة تريستان تحذير برانجيان للمحبوبين من الوقوع في أسر الحب؛ إذ قالت: "ويلكما! كفا ولا تفعلا، وتراجعا إن كان بعد من سبيل إلى التراجع، وهل من سبيل والطريق لا أوبة منها؟! قد استبد بكما سلطان الحب... الشيطان قد كاد لنا جميعًا فشربتما أنتما الكأس (بيديه، 1960، ص44-45). ولكن يولد الحب هنا بداية من الشيطان الذي وسوس للجميع، وما شرب الكأس إلا استجابة لدعوة الشيطان للتلذذ بالهوى وعذاباته.

وإن كان جليعاد في الليالي يظن أن المرأة توضع بموازاة مع الشيطان، فإن وزيره عدل من نظرته وأكد له أنهما سيان بالذنب.

ولا ريب أن نص ألف ليلة وليلة يستثمر معطيات الانطباع الشعبي عن المرأة، فتصبح المراة عنصرًا دلاليا، ومكونا عامليا، وهي أكثر العناصر تشكيلًا لنص ألف ليلة وليلة إنها منتجة للمعرفة وموضوع لها. (مويقن، 2005، ص198).

3- موت الحِب:

من تقاليد قصص الحب العذري موت العاشقين، في نهاية مأساوية تتجلى أبعادها ودلالاتها في أمرين:

- أحدهما أن يموت العاشقان في يوم واحد.
- والآخر أن يدفن العاشقان في قبر واحد.

والموت والدفن معًا للعاشقين يعني أن الموت والقبر قد جمع بينهما، بعد أن ضاقت بحبهما الحياة الدنيا.

أ- الموت في يوم واحد.

يظهر ذلك في حكاية علي بن بكار مع شمس النهار (مجهول، 2009، ص337)، وهي عبارة عن وصف تباريح الهوى وعذابات الحب بين بطلها ابن أحد ملوك العجم الذي كان مقيمًا ببغداد علي بن بكار الذي يلتقي مصادفة بالجارية شمس النهار محظية الخليفة هارون الرشيد (الرمز السياسي)، ومن ثم فهو يمثل حاجزًا بينهما، وبالتالي سيحكم على العلاقة بينهما بالفشل أو عدم التحقق، الأمر الذي يلهب نيران العشق والهيام بينهما.

ويتمكن الحب بين الاثنين، ويلتقيان في ظل خطر اكتشاف الخليفة لسرهما (مجهول، 2009، ص342)، وفي كل لقاء يغشى عليهما من فرط الود والجوى دون أمل في الوصال، وهو ما يضني علي بن بكار ويهلكه في النهاية هو والجارية من فرط العشق، وتتميز تلك القصة بذكر تباريح العشق وامتلائها بأخبار المرض والسقم من فرط الحب (مجهول، 2009، ص339-340)، بمعنى لقد هدد خطر الموت حبًا حياة العاشقين مرات عديدة قبل أن يقضي عليهما في النهاية، وتؤكد القصة أن نتيجة العشق الحقيقي إما الوصال، أو الموت، يقول علي بن بكار:

"اعلم يا أخي أن لكل شيء نهاية،ونهاية الهوى الموت، أو الوصال، وأنا إلى الموت أقرب فيا ليتني مت قبل الذي جرى، ولولا أن الله لطف بنا لافتضحنا، ولا أدري ما الذي يوصلني إلى الخلاص مما أنا فيه ولولا خوفي من الله لعجلت على نفسي بالهلاك، واعلم يا أخي أنني كالطير في القفص وأن نفسي هالكة من الغصص ولكن لها وقت معلوم وأجل محتوم" (مجهول، 2009، ص357).

وعلى الرغم من لقائهما السري والمراسلات الطويلة بينهما، فإن العلاقة بينهما ظلت طاهرة محكومة بالعفة، وانتهت -بعد طول معاناة- بموتهما في يوم واحد، ولذلك فقد خرجت بغداد كلها تشيع جنازتهما في مشهد مهيب (مجهول، 2009، ص359).

ويمكن تمثيل مسار الحب بينهما كالآتي:

حب ـــــــ منع ـــــــ موت.

إن الحبيبين انتهيا إلى الموت؛ لأنهما لم يتمكنا من اللقاء والعيش معًا، ولقد كانت الأشواق ومعاناة الحب واليأس سببًا لموتهما.

ويمكن القول: إن هذه الحكاية تتميز بغياب أنواع السحر؛ إذ تبدو الأحداث وكأنها تسير بشكل طبيعي، ولكن علاقة الحب التي وصفت لنا بين علي بن بكار وشمس النهار لا يمكن تفسيرها ببواعث عقلانية، ولا بالسببية التي تحكم العلاقات على الصعيد التقليدي، إذ كل شيء لدى علي بن بكار وشمس النهار يحمل طابع اللامعقول من مثل: سرعة وقوعهما في سحر الحب، وردود الفعل الحادة بأن يصاب كلاهما بالإغماء طوال ساعات لدى ظهور أقل إشارة تدل على أن الطرف الآخر ما يزال على قيد الحياة، كذلك الامتناع عن الطعام بسبب آلام الحب بطريقة تهدد وجودهما (مجهول، 2009، ص345). وفي الحقيقة ثمة تناص مباشر بين هذه الحكاية، وقصة تريستان وإيزولت، يبدأ من عنوان الحكاية في الليالي (علي بن بكار وشمس النهار)، فاسم الحبيبة يحيل ضمنًا إلى إيزولت الشقراء، تلك المرأة التي لم تحمل الأرض امرأة في جمالها؛ إذ "كان أهل بريطانيا ينظرون مشدوهين، إلى جمالها ويعجبون بها، ولا غرابة فإنهم ما رأوا امرأة على مثل هذا الجمال (بيديه، 1960، ص202)، وكانت أشعة الشمس تنعكس فوق شعرها الذهبي

فتتكسر (بيديه، 1960، ص19)، وعيناها خضراوان وغدائر شعرها تلتمع من شقرتها كأنها أشعة الشمس(بيديه، 1960، ص115).

ومثلها شمس النهار التي كانت "كأنها القمر بين النجوم وهي متوحشة بفاضل شعرها، وعليها لباس أزرق وإزار من الحرير بطراز من الذهب ..." (مجهول، 2009، ص338)، وقد رضيت إيزولت بالعيش القاسي في الغابة الموحشة (بيديه، 1960، ص86)، وانعزلت عن الجميع؛ لتظل إلى جانب حبيبها، وقد تركت نعيم القصر، وأبحرت لتنقذه من الموت المحتم (بيديه، 1960، ص197-200).

وإن كانت شمس النهار حظية هارون الرشيد، فإن إيزولت هي زوجة مارك، ويشكل كل من هارون ومارك معوقًا أمام سير الحب واستمراره.مع ملاحظة أن إيزولت هي ابنة ملك، وأما شمس النهار فهي جارية.

أما عن وصف تبارح الهوى في القصة فهي كثيرة، وأذكر على سبيل التمثيل:

يقول تريستان لقاهردين: "ما من أحد في العالم سواها يستطيع تخفيف ما بي، وقل لها إن أبت أن تجيء، وذكرها بما جنينا من ثمار اللذة والألم وما ذقنا من الكآبة والمسرة في حبنا الملكي" (بيديه، 1960، ص193).

"وكان تريستان إذا انتابته الحمى واشتدت عليه، عصف به الشوق، واندفع به اندفاع الفرس الجامح بفارسه إلى الأبراج المقفلة على الملكة، واصطدم الفرس والفارس بجدرانها فسقطا ثم ما يلبثان أن يعيدا الكرة" (بيديه، 1960، ص56).

"وإيزولت من وراء الأبراج المقفلة، تذبل كما يذبل، ويهدمها السقم، وتقاسي بؤسًا أمر من بؤسه" (بيديه، 1960، ص57).

أما ما كان من قول علي بن بكار: إنني كالطير في القفص، فقد يذكر بمحاكاة تريستان أصوات الطيور في غابة موروا (بيديه، 1960، ص128-129). ومن أوجه التناص المباشر بين القصتين: التدخل عبثا بين المحبوبين من جانب بعض وسطاء الخير، ففي قصة تريستان وإيزولت يتمثل الوسيط بغارفينان (Ca Finnan)، الذي شارك تريستان في كل رحلاته وجولاته، وشاركه أحزانه وآلامه (بيديه، 1966، ص128-129) وبقاهردين، الذي تفهم قصة حب تريستان وأبحر معه إلى كرنواي ليقابل إيزولت (بيديه، 1960، ص153). أما في حكاية شمس النهار وعلي بن بكار، فقد كان الوسيط أبا الحسن وبعد أن غاب ناب عنه الجواهرجي (مجهول، 2009، ص348).

وهناك سمة تكررت في القصتين هي تمني الحبيبان الموت، فإيزولت وهي في طريقها لتريستان قالت: "فبموتك موتي وبموتي موتك" (بيديه، 1960، ص199). وقالت: "ليت الله يمن علي، ياحبيبي، بأن أشفيك أو بأن نتألم ونموت معًا" (بيديه، 1960، ص199).

أما عن موقف العالم المحيط من موت الحِب، فهو يظهر جليا حينما يموت تريستان؛ إذ "بكاه في القصر، الفرسان والرفقاء "(بيديه، 1960، ص201). ولما نزلت إيزولت الشقراء من السفينة، سمعت "العويل والنحيب في الطرقات والأزقة، والأجراس تقرع في الديار والكنائس، قرع الحزن، فسألت القوم، فقال لها الرجل الشيخ: "نحن في حزن شديد، أيتها السيدة، فإن تريستان الرجل البطل الحر، قد مات، وكان رحب اليد يتصدق على الفقراء ويواسي المرضى، فهل من مصيبة أفدح من هذه المصيبة التي حلت بنا في هذا البلد؟" (بيديه، 1960، ص201).

ليس هذا وحسب، وإنما نرى حزن كل من الملكين على فراق الحب، ففي الليلة التاسعة والستين بعد المائة حزن هارون الرشيد على موت شمس النهار "وأمر أن يكسر جميع ما في الحضرة من الآلات والقوانين وحملها في حجره بعد موتها... ودفنها وحزن عليها حزنًا شديدًا... وأعتق جواريها من يوم موتها" (مجهول، 2009، ص359)، وكذلك الملك مارك الذي دفن الحبيبين بيديه بالقرب من الكنيسة (بيديه، 1960).

وختامًا، يمكن تمثيل مسار الحب في قصة تريستان وإيزولت كالآتي:

حب ـــــــ تحقيق الرغبة خارج الأعراف ـــــــ موت.

ولا ننسى الإشارة إلى أن تريستان وإيزولت ماتا ودفنا في يوم واحد (بيديه، 1960، ص202)؛ مما يشير إلى أن التناص بين القصتين كان مباشرًا واتخذ مسارًا واحدًا.

ب- الدفن في قبرواحد:

إن دفن الحبيبين معًا في قبر واحد، يستحيل دينيًا، فقد كان للنساء مقابر وللرجال مقابر، ولكن هذا الأمر يشي أن الموت والقبر قد جمع بينهما، بعد أن ضاقت بحبهما الحياة الدنيا.

ففي حكاية في الليالي تنسب إلى جميل بن معمر العذري (مجهول، د.ت، 3: ص206)، وقد حكاها لأمير المؤمنين هارون الرشيد-مع استحالة ذلك اللقاء التاريخي (بين الحاكي والمحكي له)- يجمع قبر واحد بين المحبوبين.

ومجمل القصة: أن راعيًا كان يتعشق ابنة عمه الثرية-وهو فقير- فمنعها عنه أبوها ولم يوافق على زواجهما فتأججت نار العشق بينهما، وكانت تذهب إليه في الصحراء؛ حيث اعتزل الحياة.

إذ حينما يروي الراعي حكايته لجميل يقول: "وهي كل ليلة عند نوم العيون هذا والليل، تنسل من الحي سرًا بحيث لا يشعر بها أحد، فأقضي منها بالحديث وطرًا، وتقضي هي كذلك، وها أنا مقيم على ذلك الحال أتسلى بها ساعة من الليل؛ ليقضي الله أمرًا كان مفعولا، أو يأتيني الأمر على رغم الحاسدين، أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين " (مجهول، د.ت، 3: ص28)، ومع ذلك فقد شهد لهما جميل بأن الشيطان لم يكن ثالثهما، بل كان

الجان يبارك هذا الحب، ويرثي من أجل هذين العاشقين العفيفين، حين افترس أسد ذات ليلة ظلماء الحبيبة (مجهول، د.ت، 3، ص209)، ومن الملاحظ أن المحب ينقطع عن حياته في سبيل وصال المحبوبة، فنرى الراعي يقول: "فلما بعدت عني، واحتجبت عن النظر إليها، حملتني لوعات الهوى وشدة الشوق والجوي على ترك أهلي ومفارقة عشيرتي وخلاني وجميع نعمتي وانفردت بهذا البيت في هذه البرية وألفت وحدتي"(مجهول، د.ت، 3: ص208).

وقد يظهر العالم المحيط تعاطفه مع عناء المحب فنرى جميلًا العذري قال للراعي: "أنا والله مساعدك ما حييت بروحي ومالي وسيفي" (مجهول، د.ت، 3: ص209).

وغالبًا ما يصرّح العشاق في آخر لقاءاتهم بأنهم يعرفون بأنهم ذاهبون لحتفهم، ولا يلبث الأمر أن يتحقق، ويعلن عن موتهم، قال الراعي: "يا ابن العم سألتك بالله، وبحق القرابة، والرحم التي بيني وبينك أن تحفظ وصيتي، فستراني الساعة ميتًا بين يديك، فإذا كان ذلك فغسلني، وكفني أنا وهذا الفاضل من عظام ابنة عمي في هذا الثوب، وادفنا جميعًا في قبر واحد واكتب على قبرنا هذين البيتين:

كنا على ظهرها والعيش في رغد ففرق الدهر والتصريف ألفتنا

والشمل مجتمع والدار والوطن وصار يجمعنا في بطنها الكفن" (مجهول، د.ت، 3: ص209).

وقد نفذ المُوْصى الوصية؛ إذ قال: "ففارق الدنيا فلما رأيت ذلك منه عظم علي وكبر عندي، حتى كدت أن ألحق به من شدة حزني عليه، ثم تقدمت إليه، فأضجعته وفعلت به ما أمرني من العمل، وكفنتهما ودفنتهما جميعًا في قبر واحد، وأقمت عند قبرهما ثلاثة أيام، ثم ارتحلت وأقمت سنتين أتردد إلى زيارتهما" (مجهول، د.ت، 3، ص210).

ليس غريبا أن يكون الحب محورًا في ألف ليلة وليلة، وفي ذلك المستوى الرفيع من الحب تلتقي العواطف بالثقافة، وتظهر معرفة الشعر والقدرة على نظمه،فيبدو الحب عرضا ثقافيا واسعًا وحورًا يمتد سنوات (خوست، 2011، ص115-117).

فقد ظهرت المراة في كل قصة من قصص الليالي تلعب دورها وتكون عنصرًا مهمًا -إن لم يكن الأهم- في تسيير دفة الحوادث فيها (قلماوي، 2010، ص460).

وإذا أردنا حصر مواطن تناص قصة تريستان وإيزولت المباشر مع هذه الحكاية فإنها تتمثل في الآتي:

- عزلة الحبيبين عن العالم المحيط بهما:

فتريستان ترك زوجته وظل يتنقل من مكان إلى مكان، وإيزولت تركت زوجها الملك مارك فهي تحيا بقلبها وروحها مع تريستان (بيديه، 1960، ص129)، وهي لم تظهر مقتًا لمارك، ولكنها لم تحبه إذ لم تتذوق كأس الحب معه، وبالمثل تريستان لم يبغض إيزولت البيضاء، ولكنه لم يستطع حب إيزولت البيضاء، وإن كانت تحمل الاسم ذاته (بيديه، 1960، ص151).

- اللقاء ليلًا، وتجاوز جميع العقبات، والمخاطرة بالنفس في سبيل تحقق اللقاء.

"عندما أرخى الليل سدوله طارت السفينة بأشرعتها إلى أرض الملك مارك،واستسلم الحبيبان لحبهما وشدا به رباطهما إلى الأبد" (بيديه، 1960، ص45). كانت إيزولت تذهب لقاء تريستان "غير أن الوجل يملأ جوانحها...، فإذا رآها تريستان مقبلة فتح لها ذراعيه ...،وسترهما الليل وظل الصنوبرة الحبيبة" (بيديه، 1960، ص128).

- وحشة المكان والانتقال من حياة النعيم إلى حياة الشقاء والبؤس والمعاناة والمخاطرة.

"ومضى الصيف وأقبل الشتاء، فانزوى الحبيبان في عقر غار، تحت صخر تصلبت أرضه من البرد والجليد فكانا يصنعان فراشهما من ورق الشجر اليابس، غير أن سلطان الحب قد تغلب، فلم يشعرا بما هما فيه من شقاء وبؤس" (بيديه، 1960، ص92).

- تعاطف العالم المحيط مع الحبيبين.

إذ يقول قاهردين لتريستان: "أيها الرفيق العزيز، كفاك بكاء فإني أقوم بكل ما ترغب فيه، وإني في سبيل حبك، أغامر بنفسي حتى الموت" (بيديه، 1960، ص192).

وتبقى الإشارة إلى أنه ثمة تناص خفي غير مباشر، فالراعي لم يتحد جسديًا وماديًا مع محبوبته، أما تريستان وإيزولت فقد تحقق لهما هذا الاتحاد خارج الأطر والحدود، وما ذلك إلا لأنهما شربا خمرة الحب معًا.

والملك مارك لم يدفن تريستان وإيزولت في قبر واحد كما نجد في حكاية الراعي التي رواها جميل بثينة، وإنما دفنهما في لحدين متجاورين، قرب كنيسة؛ ليحفظهما الرب برعايته (بيديه، 1960، ص202-203).

4- شجرة الحب:

إن كان دفن الحبيبين في قبر واحد يبدو غريبًا وعجيبا، فالأعجب منه هو الشجرة الملونة التي تنبت من القبر، وتتشابك فروعها، مهما حاول زوار القبر الفصل بينها؛ إذ إن محاولاتهم كانت تفشل دائمًا، فما كان إلا أن تبقى هذه الشجرة، شاهدًا على حياة الحب واستمراره بين الحبيبين حتى بعد موتهما.

ففي حكاية ريا بنت الغطريف السلمي وعتبة بن الحباب (مجهول، 2009، 3: ص170): يحكى عبدالله بن معمر القيسي عن قصة حضرها إبان الحج؛ إذ رأى غلامًا ينشد أشعارًا في الهوى العذري، بصوت رقيق وحزين، وقد كان هذا الغلام في غاية الجمال، وقد خرق الدمع عينيه، فلما سأله عن حاله أجاب الفتى:

"أنا عتبة الأنصاري (كان من سادات العرب)، عدوت إلى مسجد الأحزاب فبقيت راكعًا وساجدًا، ثم اعتزلت أتعبد، وإذا بنسوة يتهادين كالأقمار وفي وسطهن جارية بديعة الجمال كاملة الملاحة فوقفت عليّ وقالت: يا عتبة، ما تقول في وصل من يطلب وصلك؟ ثم تركتني وذهبت فلم أسمع لها خبرًا ولا وقعتُ لها على أثر، وها أنا حيران أنتقل من مكان إلى مكان بحثًا عنها، ثم صرخ وانكب على الأرض مغشيًا عليه" (مجهول، 2009، 3: ص171).

ويظل القيسي يواسيه... ويصطحبه هو وأشراف القوم إلى منازل أهل حبيبته طالبًا يدها، لكن أباها يقول: أقسمت لا أزوجنك بها أبدا بعد أن نما إلي حديثك عنها.

وبعد توسط الأشراف لعتبة عند أبيها يوافق على زواج الحبيبين، إلا أنه في طريق العودة إلى المدينة المنورة، خرجت على القوم غارة حمل عليها عتبة، وقتل منها عدة رجال ولكنه أصيب بطعنة قضت عليه، وتبكيه ريّا حتى تقضي نحبها معه.

ويقول القيسي في روايته:

"فحفرنا لهما قبرًا واحدًا،ووارياهما في التراب، ورجعت إلى ديار قومي، وأقمت سبع سنين ثم عدت إلى الحجاز ودخلت المدينة المنورة للزيارة، فقلت: والله لأعودن قبر عتبة، فأتيت إليه فإذا هو عليه شجرة عالية عليها عصائب حمر وصفر وخضر، فقلت لأرباب المنزل: ما يُقال لهذه الشجرة؟ فقالوا: شجرة العروسين" (مجهول، 2009، 3: ص172).

ولعل أبرز نقاط تناص قصة تريستان وإيزولت المباشر، وهذه الحكاية هي: الشجرة التي نبتت على قبر الحبيبين، وهي تمتاز بالعلو، وأيضًا وجودها في مكان يحمل طابع المباركة دينيًا (المدينة المنورة، والكنيسة)، وهي تزدهي بالألوان والحياة ولو طال الزمن بها (سبع سنوات في حكاية عتبة وريا، وبقيت تزدهي بالخضرة والألوان، ونمو العوسجة في قصة تريستان وإيزولت وإن تكرر قطعها).

ففي قصة تريستان وإيزولت: نبتت من مدفن تريستان عوسجة خضراء مورقة، كثيرة الفروع، تحمل الأزهار العطرة، وارتفعت وامتدت من فوق الكنيسة، واغترزت في مدفن إيزولت، وقطعها الأهالي فعادت في الغداة إلى ما كانت عليه من الاخضرار والازدهار والقوة، واغترزت في مرقد إيزولت الشقراء، وحاول الأهالي على ثلاث دفعات (قطعها)، فذهب تعبهم سدى (بيديه، 1960، ص203). ويلاحظ في هذه القصة أن حب تريستان وإيزولت بقي مستنكرًا من أهل المدينة، والدليل على ذلك المحاولات المتكررة لقطع هذه الشجرة، ولكن سنجد في النهاية أن الملك مارك سينهاهم عن قطع العوسجة وكأنه يبارك هذا الحب.

وفي حكاية عتبة وريا لم نجد أحدًا يحاول قطع الشجرة النابتة على القبر.

ثالثًا- معالم الأثر الحضاري لألف ليلة وليلة في قصة تريستان و إيزولت:

1- فكرة الجبرية:

تبدو أول ملامح الأثر في فكرة الجبرية حيث وردت في عدة مواضع في الليالي (مجهول، 2009، ص354)، منها: "لا تنفع حيلة في القدر والذي على الجبين مكتوب ما منه مهروب" (مجهول، 2009، 3: ص78)، "وقد يدفع كل شيء إلا القدر" (مجهول، 2009، 2: ص41). ولعل أبرز صور التأثر المباشر يظهر فيما يسمى بشراب الحب؛ حيث تغنى أنس الوجود قائلًا:

"وأسقاني شراب الأنس حتى ذهلت عن الوجود بما سقاني

فطربنا وانشرحنا واضطجعنا وصرنا في شراب مع أغاني" (مجهول، 2009، 2: ص276).

وحيث كانت الجارية تعلم أثر شراب الحب أعطت كل واحد فنجانا فشربا ثم قالت: " إن الداهية في الفنجان، فخذه منها ولا تشربه حتى يشرب سيدها ويرقد ".

و كاتب قصة تريستان يجد أن الإنسان غير مخير، ويبدو ذلك واضحًا من خلال حديث البطل مع الناسك بأن علاقته هذه مقدرة عليه ومجبر فيها حين قدم لهما شراب الخمرة المسحورة بالخطأ، والذي كان معدًا للملك مارك وزوجته إيزولت ليلة الزواج، فشاء القدر أن يصل إليهما ؛ لذلك يقول للناسك الذي ينصحه أن يعيد الملكة إلى الملك: "وعمّ أتوب يا أوغران فأي ذنب اقترفت؟ أنت تقضي عليّ وأنت تعلم أي شراب شربناه في البحر" (بيديه، 1960، ص86-87)؛ ليعلن تمسكه بهذا الحب.

2- القسم بالنار:

حين ننظر لعقدة قصة تريستان المتمثلة في القسم،ومحاولة إيزولت إثبات براءتها في عدم خيانة الملك مارك من خلال القسم بالنا؛ إذ كان عليها أن تقسم أنه لم يحتضنها شخص غير زوجها الملك والفقير الذي حملها من الزورق إلى البر وأسقطها في الماء؛ ليبلل ملابسها، وذلك الفقير الذي لا يعرفونه هو حبيبها المتنكر حين يجلس بجوار الجرف بحسب ما أرادت هي؛ ليحملها من الزورق إلى اليابسة (بيديه، 1960، ص120-127).

والقسم بالنار ورد في أكثر من حكاية في ألف ليلة وليلة منها: "وكانوا يقسمون بالنار والنور والظل والحرور والفلك الذي يدور" (مجهول، 2009، 1: ص56). وقد أشار صاحب صبح الأعشى إلى نار الحلف عند حديثه عن نيران العرب (القلقشندي، 1987، 2: ص409).

3- وجود الرقيب/ العفة:

إن قصة تريستان صورت نوعين من العلاقات: أولهما: مادي، والآخر: عذري، ولا ريب أن النوع الثاني متأثر بالحب العذري العربي.

فقد خدمت الصدفة تريستان حين وضع السيف بينهما أثناء نومهما؛ استعدادا للخطر لا بحثا عن العفة التي تداعت إلى ظن الملك، حين دخل الكوخ الذي نام فيه تريستان إلى جانب إيزولت، والسيف يفصل بينهما "فلو أن حبهما حب طائش أثيم لما وضعا هذا السيف بينهما. ومن يجهل أن السيف إذا فصل بين جسدين ضمن عفافهما، وكان حارسا له، ولو أن حبهما حب طائش لما رقدا هذه الرقدة الطاهرة لا، لا، لا يقتلان فإن قتلهما إثم عظيم" (بيديه، 1960، ص97-98).

وهذا يتناص مع حكاية وردت في الليالي بصورة غير مباشرة؛ حيث إن قمر الزمان يخشى من الرقيب، وهذا ما يمنعه عن محبوبته لوقت معلوم؛ حيث قال: "وربما يكون والدي مستخفيًا في مكان ما بحيث يطلع علي وأنا لا أنظره فينظر جميع ما أفعله بهذه الصبية، وإذا أصبح يوبخني ويقول لي: كيف تقول لي مالي أرب في الزواج وأنت قبلت تلك الصبية وعانقتها، فأنا أكف نفسي عنها الليلة لئلا ينكشف أمري مع والدي فأنا لا ألمس الصبية من تلك الساعة". ورغم شدة حسنها ومحبته لها إلا أنه آثر أن يتمنع عنها مما دفع ميمونة الجنية للقول: "هل رأيتما محبوبي قمر الزمان وما فعله من العفة عن هذه الصبية؟ فهذا من كمال محاسنه، فانظروا كيف رأى هذه الصبية وحسنها وجمالها، ولم يعانقها ولم يلمس بيده عليها بل أدار ظهره إليها ونام" (مجهول، 2009، 2: ص83).

4- اللقاء الأخير وموت الحبيبين:

العشق هو فرط الحب وتجاوز حد المحبة، ويقال رجل عشيق أي كثير العشق، وقد سمي العاشق عاشقا لأنه يبذل من شدة الهوى كما تبذل شجرة العشقة إذا قطعت (ابن منظور، د.ت، 10، ص251-252)، وقالت العرب: "إن قلوب العشاق رقيقة كأنها قلوب طير تنماث كما ينماث الملح في الماء، وهم ينظرون إلى جمال محاجر أعين لا ينظر إليها الآخرون" (ابن قتيبة، 1964، ص463).

لذلك يلاحظ أن قصص موت الأحبة رافقت العشاق كثيرًا في حكايا ألف ليلة وليلة؛ لعدم الظفر بالمحبوبة، ولا غرابة في ذلك فالعرب في قصصها تعطي للمرأة مكانة "وكأنها هي واهبة الحب أو سالبته، وهي المالكة الآمرة الناهية في دنياه" (مراني، 1985، ص64).

وهذا ما نجده في قصة زوجة الجوهري حين دخل عليها، ورآها تبكي فراق حبيبها قمر الزمان؛ لأنه تزوج غيرها وجعل آخر تعلقها به الحبس، فعايرتها الجارية في ذلك فردت عليها قائلة: "لا بدّ أن يتذكر عشرتي وصحبتي ويسأل عني، وأنا لا أرجع عن محبته ولا أتحول عن هواه، ولو مت في السجن فإنه حبيبي وطبيبي وعشمي فيه أنه يرجع إلي" (مجهول، 2009، 4: ص261).

وقد ترددت عبارات كثيرة في الليالي تظهر حرص الحبيبين على الاجتماع إلى أن يأتيهما "هادم اللذات، ومفرق الجماعات" (مجهول، 2009، 4: ص310)، وكذلك تبين تضحية الأحبة ومخاطرتهم من أجل التقرب ممن يحبون فها هو حسن المحب يقول: "قد اخترت الموت لنفسي، وكرهت الدنيا إن لم أجتمع بها "(مجهول، 2009، 4: ص979)، وهي في المقابل ترد: "لأخاطرن معك بروحي حتى تبلغ مقصودك، أو تدركني منيتي" (مجهول، 2009، 4: ص979).

و في نهاية قصة تريستان يتحمل البطل الأخطار من أجل أن يلقى محبوبته، فهو حين مرض في إنكلترا (England) من ضربة سلاح مسموم، وأرسل رسوله لإيزولت يخبرها بأمنيته أن يراها قبل هلاكه؛ ليكون الرمز بينهما أن ترفع السفينة الأعلام البيضاء إن حملتها، وإن لم تستطع القدوم ترفع السفينة الأعلام السود، وحين قدمت السفينة سأل تريستان زوجته وهو على فراش الموت عن لون أعلام السفينة سوداء أم بيضاء لتطمئن نفسه، لكن زوجته إيزولت البيضاء كذبت عليه هنا وقالت له إن السفينة تحمل الأعلام السوداء انتقاما منه ؛ لأنها كانت قد استمعت سرًا وصيته لحبيبته مع رسوله، ليميل هنا تريستان بوجهه إلى الجدار، ويردد ثلاثا إيزولت يا حبيبتي وفي المرة الرابعة فاضت روحه" (بيديه، 1960، ص200-201)؛ فتصل بعد موته حبيبته "إيزولت الشقراء" لتقول لزوجته إيزولت البيضاء: "قومي أيتها السيدة وأفسحي لي السبيل للدنو منه، فحقي في البكاء عليه أعظم من حقك؛ لأن حبي له كان أعظم من حبك...، واتجهت نحو الشرق وصلّت، ثم كشفت عن الجثمان قليلًا، واضطجعت إلى جنب حبيبها... وأسلمت الروح" (بيديه، 1960، ص202).

وفي الختام لا بد من القول إن قصة تريستان وإيزولت تكاد تتشابه في أسلوبها عامة وأحداثها مع حكايا ألف ليلة وليلة وإن اختلفت في بعض التفاصيل، وربما يكون مبعث التشابه في الأفكار هو التجربة الإنسانية المشتركة، وقد يكون في الوقت نفسه يحمل بعض الآثار القادمة من الثقافة العربية والتي وإن ظهرت في تجربة جديدة إلا أنها لم تتنكر لمنبعها الأصلي.

الخاتمة

إن كان لي أن أرصد النتائج التي توصل لها هذا البحث، فهي تتلخص بالآتي:

- المفهوم الجديد للحب والعشق في الأدب الأوروبي نشأ على أثر اتصال الغرب بالشرق في الحروب الصليبية، ولقد كان لكتاب ألف ليلة وليلة أثر كبير في الأدب الأوربي، وبالتحديد في فن السرد.

- مصطلح الرومانس مصطلح أدبي ولغوي مضطرب.

- الأصول العربية المحتملة للرومانسيات الغربية لها داعم تاريخي ونصوصي أثبته الباحثون في كتاباتهم، من مثل: التماس بعضهم لأصول قصة تريستان وإيزولت في كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني.

- كثيرًا ما كان يتم إزالة العناصر الإسلامية الموجودة في قصص الحب العربي،ثم يلبسها المتأثر فيها ثوبا جديدا يتواءم مع الواقع الغربي في العصور الوسطى.

- تعد قصة تريستان وإيزولت من أشهر القصص الرومانسية التي عرفتها أوروبا في العصور الوسطى، فقد اعتنى بها الجوالون طويلًا وأضافوا للقصة الحقيقية عناصر أسطورية وخرافية بما بث فيها روح التشويق والإمتاع.

- يمكن تكثيف عناصر التشابه في فكرة الحب بين قصة تريستان وإيزولت وقصص ألف ليلة وليلة في إطار ما يسمى بالحب الرفيع ضمن العناصر الأساسية التالية وما قد يتفرع منها:

الشكوك التي انبنت عليها القصة الإطار في كليهما، وموت الحب، وشجرة الحب، والحب فيض لمشاعر تلقائية.

فالحكاية الإطار ركزت على فكرة الخيانة، وعجز الزوج مع أنه في موقع سلطة عن دفعها. ويعد موت العاشقين من أبرز تقاليد قصص الحب العذري العربي التي تأثرت فيها قصة تريستان في نهاية مأساوية تتجلى أبعادها ودلالاتها في أمرين:

- أحدهما أن يموت العاشقان في يوم واحد.
- والآخر أن يدفن العاشقان في قبر واحد.

والأعجب منه هو الشجرة الملونة التي تنبت من القبر، وتتشابك فروعها، مهما حاول زوار القبر الفصل بينها، كدلالة رمزية على حياة الحب واستمراره بين الحبيبين حتى بعد موتهما.

ولطالما يخيم الإحساس بالذنب على قلب المحبين، ولا نجد بموازاة هذا الإحساس حيادًا حقيقيًا عن تباريح الهوى، فالمحب يظل متعلقا لوصل الحبيبة ولقائها متجاوزًا كل العقبات،ومخاطرًا في نفسه ومتنقلا من حياة النعيم إلى حياة الشقاء، وهذا ما كان يركز عليه السرد وهو يصف مشاعر المحبين لحظة الفراق والبعد، وما يؤول إليه الأمر من التعاطف مع الحبيبين بعد موتهما وتسويغ حبهما.

- من أبرز معالم الأثر الحضاري لألف ليلة وليلة في قصة تريستان وإيزولت: الجبرية، والقسم بالنار، ووجود الرقيب، وموت المحبين.

إذ تبدو فكرة الجبرية في الحب هي المسيطرة على السرد في القصص الرومانسي، ويلاحظ أن قصص موت الأحبة رافقت العشاق كثيرًا في الحكايا المقارن بينها؛ لعدم الظفر بالمحبوبة، وكذلك القسم بالنار شاع عند العرب، واستخدم لإثبات براءة الزوجة من تهمة الخيانة، كما أن قصة تريستان صورت نوعين من العلاقات: أولهما: مادي، وثانيهما: عذري، والنوع الثاني متأثر بالحب العذري العربي، ولا سيما بفكرتي العفة ووجود الرقيب.

المصادروالمراجع

بدوي، ع. (1979م). *دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي*، ط3 الكويت: وكالة المطبوعات.

بيديه، ج. (1960). *قصة تريستان وإيزولت*، ترجمة: يوسف غصوب، ط1 بيروت: المنشورات العربية.

جبر، ز. (1985). *الأدب الأوروبي وأثر العربية فيه*، جامعة الأزهر، مجلة كلية اللغة العربية، ع5.

جواد،ع. (2002). أثر حكايات ألف ليلة وليلة في القصة الإنجليزية، *بغداد: مجلة الآداب*، جامعة بغداد، ع61، ص:4.

خوست،ن. (2011). *ألف ليلة وليلة والرواية التاريخية*، ط1 دمشق، دار صفحات للدراسة والنشر.

الدهون، إ. (2011). *التناص في شعر أبي العلاء المعري*، ط1 إربد: عالم الكتب الحديث.

ديورانت، و. (1958). *قصة الحضارة*، ترجمة: محمد بدران، ط1 القاهرة: لجنة التأليف والترجمة، ج6.

رانيلا، أ. (1999). *الماضي المشترك بين العرب والغرب (أصول الآداب الشعبية الغربية)*، ترجمة نبيلة إبراهيم، كانون الثاني، الكويت، عالم المعرفة.

روجمون، د. (1972). *الحب والغرب*، ترجمة: عمر شخاخيرو، ط1، دمشق: منشورات وزارة الثقافة.

الزعبي، أ. (1995). *التناص نظريًا وتطبيقيًا*، ط1 إربد: مكتبة الكتاني.
سلامة، إ. (1952). *بلاغة أرسطو بين العرب واليونان*، ط2 مصر: مكتبة الأنجلو المصرية.
سلوم، د. (2008). *أثر الفكر العربي والإسلامي في الآداب الأوروبية*، ط1 بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.
سلوم، د. (1968). *النقد الأدبي*، ط1 بغداد: دار الإرشاد.
عبد الرحمن، ي. م. (2007). *الاستبداد السلطوي، والفساد الجنسي في ألف ليلة وليلة*، ط1 بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون.
فاجنر، ر. (1991). *أوبرا تريستان وإيزولدا*، ترجمة: بدر توفيق، ط1 مصر: دار الهلال.
الفلاحي، أ. (2012). *بغداد في الشعر*، ط1 بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.
ابن قتيبة، ع. (1964). *الشعر والشعراء*، تح: أحمد محمد شاكر، ط1، بيروت: دار الثقافة، ج1.
القلقشندي، أ. (1987). *صبح الأعشى في كتابة الإنشا*، شرح وتعليق: محمد حسين شمس الدين، ط، 1بيروت: دار الكتب العلمية، ج:2.
قلماوي، س. (2010). *ألف ليلة وليلة*، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
مجهول (2009). *ألف ليلة وليلة*، مراجعة: محمد الإسكندراني، ط1 بيروت: دار الكتاب العربي.
مجهول (1935). *ألف ليلة وليلة*، ط1، مصر: بولاق، ج:3.
مراني، ن. (1985). *الحب بين تراثين*، ط2، بغداد: المكتبة العالمية.
المعطاني، م. (2016). أثر ألف ليلة وليلة في الأدب الأوروبي: دراسة نقدية تحليلة، *مجلة جامعة الطائف للعلوم الإنسانية*، 4(14)، 71.
مكي، ط. (1987). *الأدب المقارن أصوله وتطوره ومناهجه*، القاهرة: دار المعارف.
المنصف بن حسن (1994). *العبيد والجواري في حكايات ألف ليلة وليلة*، سراس للنشر.
ابن منظور، م. (1414ه). *لسان العرب*، ط3، بيروت: دار صادر، مادة (عشق)، ج:10.
الموسوي، م. م. (2007م). *مجتمع ألف ليلة وليلة*، ط1 الإمارات، مؤسسة سلطان بن علي العويس الثقافية.
مويقن، م. (2005م). *بنية المتخيل في نص ألف ليلة وليلة*، ط1 سوريا: دار الحوار للنشر.
ميكل، أ. (2000). *مجنون ليلى وتريستان*، ترجمة: غسان بديع السيد، ط1 دمشق: دار الأوائل للنشر.
هلال، م. (1997). *النقد الأدبي الحديث*، ط1 مصر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر.
_____(1960). *الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية، دراسات نقد ومقارنة حول موضوع: ليلى والمجنون، في الأدبين العربي والفارسي*، ط2، م، مكتبة الأنجلو المصرية.
وهبة، م. (1974). *معجم مصطلحات الأدب*، ط1 بيروت: مكتبة لبنان.

References

Abdel-Rahman Younis, M. (2007). *Authoritarian tyranny and sexual corruption in One Thousand and One Nights* (1st ed.). Beirut: Arab House of Science Publishers.

Al-Dahoun, I. (2011). *Intertextuality in the poetry of Abu Al-Ala Al-Maarri* (1st ed.). Irbid: The Modern World of Books.

Al-Falahi, A. (2012). *Baghdad in poetry* (1st ed.). Baghdad: House of General Cultural Affairs.

Al-Maatani, M. (2016). The impact of *One Thousand and One Nights* on European literature: A critical and analytical study. *Taif University Journal of Human Sciences*, *4*(14), 71.

Al-Mousawi, M. (2007 AD). *One Thousand and One Nights society* (1st ed.). UAE: Sultan bin Ali Al Owais Cultural Foundation.

Al-Munsif bin Hassan. (1994). *Slaves and concubines in the tales of One Thousand and One Nights*. Saras Publishing.

Al-Qalqashandi, A. (1987). *Subh al-A'sha fi Kitab al-Insha* (M. H. Shams al-Din, Explanation & Commentary, Vol. 2). Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah.

Al-Zoubi, A. (1995). *Intertextuality in theory and practice* (1st ed.). Irbid: Al-Kattani Library.

Anonymous. (1935). *One Thousand and One Nights* (Vol. 3, 1st ed.). Egypt: Bulaq.

Anonymous. (2009). *One Thousand and One Nights* (M. Al-Iskandarani, Rev., 1st ed.). Beirut: Dar Al-Kitab Al-Arabi.

Badawi, A. (1979). *The role of the Arabs in forming European thought* (3rd ed.). Kuwait: Publications Agency.

Bedet, J. (1960). *The story of Tristan and Iseult* (Y. Ghassoub, Trans.). Beirut: Arab Publications.

Durant, W. (1958). *The story of civilization* (M. Badran, Trans., Vol. 6). Cairo: Authorship and Translation Committee.

Hilal, M. (1960). *The emotional life between virginity and Sufism: Critical and comparative studies on the subject: Layla and*

Majnun, in Arabic and Persian literature (2nd ed.). Anglo-Egyptian Library.

Hilal, M. (1997). *Modern literary criticism* (1st ed.). Egypt: Dar Nahdet Misr for Printing and Publishing.

Ibn Manzur, M. (1414 AH). *Lisan al-Arab* (3rd ed., Vol. 10). Beirut: Dar Sader.

Ibn Qutaybah, A. (1964). *Poetry and poets* (A. M. Shaker, Ed., Vol. 1). Beirut: House of Culture.

Jabr, Z. (1985). European literature and the impact of Arabic on it. *Journal of the College of Arabic Language, Al-Azhar University*, 5.

Jawad, A. (2002). The impact of the tales of *One Thousand and One Nights* on the English story. *Journal of Arts, University of Baghdad*, 61, 4.

Khost, N. (2011). *One Thousand and One Nights and the historical novel* (1st ed.). Damascus: Dar Pages for Study and Publishing.

Makki, T. (1987). *Comparative literature: Its origins, development, and methods*. Cairo: Dar Al-Maaref.

Marani, N. (1985). *Love between two traditions* (2nd ed.). Baghdad: International Library.

Mickel, A. (2000). *Majnun, Laila, and Tristan* (G. B. Al-Sayyid, Trans., 1st ed.). Damascus: Dar Al-Awael for Publishing.

Muwaiqin, M. (2005). *The structure of the imaginary in the text of One Thousand and One Nights* (1st ed.). Syria: Dar Al-Hiwar Publishing House.

Qalamawi, S. (2010). *One Thousand and One Nights*. Egypt: Egyptian General Book Authority.

Ranila, A. (1999). *The common past between Arabs and the West (Origins of Western folk literature)* (N. Ibrahim, Trans.). *World of Knowledge*, January, Kuwait.

Rougemont, D. (1972). *Love and the West* (O. Shakhakhiro, Trans., 1st ed.). Damascus: Ministry of Culture Publications.

Salama, E. (1952). *Aristotle's rhetoric between the Arabs and the Greeks* (2nd ed.). Egypt: Anglo-Egyptian Library.

Salloum, D. (1968). *Literary criticism* (1st ed.). Baghdad: Dar Al-Irshad.

Salloum, D. (2008). *The impact of Arab and Islamic thought on European literature* (1st ed.). Baghdad: House of General Cultural Affairs.

Wagner, R. (1991). *The opera Tristan and Isolde* (B. Tawfiq, Trans., 1st ed.). Egypt: Dar Al-Hilal.

Wahba, M. (1974). *Dictionary of literary terms* (1st ed.). Beirut: Lebanon Library.